# سورة ص

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

[ص: ٢٠]

جاءت هذه الآية بعد آية:

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۞ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۞ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ١٧- ١٩)

بعد بيان ما آتى الله تعالى داود من فضائل ومعجزات، أبان القرآن الكريم ثلاثة فضائل أخرى مهمة وهبها الله تعالى لهذا النبي الكريم، ويؤكد على وجوب اتخاذه قدوة لكيفية ترافق الملك مع القرب من الله. وهذه الفضائل الثلاثة الأخيرة هي:

**١- وشددنا ملكه**: أي ظاهرنا ملكه وساندناه. وقد تعرض النبي داود عليه السلام للعديد من البلايا والدواهي والمصائب، ولكنه خرج منها -بفضل الله- وقد ازداد حكمه رصانة وقوة. كما تشير الآية لرسولنا ﷺ بأن المستقبل سيكون مشرقاً جداً.(*)

**٢- وآتيناه الحكمة**: والمظهر الكامل لحقيقة هذه الحكمة التي هي عمق مهم وخاص من أعماق النبوة... هذا المظهر الكامل للحكمة تجلى عند نبينا سيد الأنام بأجلى صورة. وهنا تذكير بهذه النعمة المهداة لرسولنا.

---

(*) جميع القصص الواردة في القرآن الكريم تسلية وبشارة للرسول ﷺ ودروس وعبر. لذا فذكر نعم الله المسبغة على النبي داود عليه السلام تلميح إلى أن الله سيسبغ على نبينا كذلك نعماً عديدة. (المترجم)

**٣- وفصل الخطاب**: أي قابلية كمال الخطاب. وما أوتي النبي داود عليه السلام من هذا أوتي نبي الإنس والجن وخطيب الكون والمكان وسلطان الكلام والبلاغة ﷺ أضعافه. وإذا كانت الجبال تعكس صدى مزامير داود عليه السلام فإن نغمات كلام عندليب الأنبياء وبلبل القرآن ستنعكس يوما وتتردد أصداؤها في جميع القلوب. وهذا المعنى يظهر من تداعي المعاني.

ولكن ورد في التفاسير الكلاسيكية بأن "فصل الخطاب" يعني قول: "أما بعد!". ولكن لا يمكن أن يذكر القرآن هذا الأمر في معرض المنة وإعطاء النعمة ويقصد منه مثل هذه الكلمة التي يستطيع كل واحد تقريبا ذكرها. أجل إن هذا فضل من الله ونعمة آتاها داود عليه السلام. لذا فالأولى أن نقول بأن فصل الخطاب هنا يعني القابلية على الحديث حسب عقول الناس وقابلية الخطابة المثلى، واستعمال أسلوب حديث مقنع للجميع لا يدع مجالا للاعتراض والنقاش. ونستطيع أيضا القول بأنه قابلية شرح كل مسألة بشكل واضح بجميع تفاصيلها وفروعها.

# سورة المؤمن (غافر)

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦]

في هذه الآية الكريمة يرد ذكر شخص مؤمن نشأ في عائلة فرعون وهو الذي أطلق عليه اسم "مؤمن آل فرعون" وورد خبره في سورة "المؤمن". وقال فرعون ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾. ولكي نستطيع فهم الآية حق الفهم فمن المفيد تذكر الحوادث التي تسلسلت حتى وصلت إلى هذه النقطة.

كما هو معلوم تعرض فرعون للهزيمة في كل محاولاته تجاه موسى عليه السلام، وأخيراً قرر قتله وما يشبه استئذان قومه في هذا القتل. وهذا الشيء الذي نسمعه ونستشفه من روح الآية يظهر لنا عجز فرعون وهزيمته ومغلوبيته وشعوره بأن يديه مغلولتان، فقوله ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ دليل هذا العجز. لأن فرعون الذي هزم أمام موسى من الناحية العقلية والمنطقية والاستدلالية بدأ يطلب الإذن من قومه بصوت واهن وضعيف. وليس هذا أسلوب من يثق بنفسه، بل أسلوب من فقد كل عون له بالتدريج. أسلوب المستبد الذي يكون ظالماً عند قوته وذليلا عند ضعفه، أو يبدو ديمقراطياً في الظاهر. وهذا الأسلوب من حاكم مستبد وظالم سخر قومه في بناء الأهرام ليس إلا رياء وذلة ولجوء نفاق إلى الشعب. وكان يريد أن يأخذ معه قوة جماهير الشعب المتعلق بعاداته القديمة ودينه، ويستغل هذا الشعب الذي حطمه وأذله عندما

كان قويا. أجل!... كان مثل جميع المتكبرين والدكتاتوريين السابقين المتحكمين في مقدرات العالم يريد التوسل إلى القوة وإلى تكوين رأي عام في صفه. كان مثل مشركي الجاهلية الذين كانوا يقولون عن الرسول ﷺ بأنه "يفرق بين المرء وزوجه، ويصدنا عما كان يعبد آباؤنا". أما فرعون فكان يقول لهم ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر:٢٦). يقول هذا وكأن كل شيء كان حتى ذلك الوقت يسير سيراً حسناً، وكأن الشعب كان مرفها وسعيدا وأن موسى هو الذي يريد إفساد كل شيء ويدفع الشعب نحو الفوضى والاضطراب.

في هذه الأثناء يتدخل مؤمن آل فرعون -حسب بعض الروايات كان هذا الشخص شقيق آسيا والقائد العام لجيوش فرعون-. وليس من الممكن ألا يكون النبي موسى عليه السلام -صاحب الفراسة- غير دارٍ به. لقد كان يعرفه وقام بتخطيط لتقييم قوته ونفوذه، ونظم حركته بعد أخذ هذا الأمر بنظر الاعتبار. وعندما وصل فرعون إلى هذه النقطة من العجز والوهن والضعف، واضطر إلى الاستنجاد بشعبه الذي كان يعده من قبل هملا لا قيمة له، فقد استفاد موسى عليه السلام من ظهور هذا الشخص استفادة جيدة.

وقد أعطى القرآن الكريم لمؤمن آل فرعون مساحة أكبر من المساحة التي أعطاها لبعض الأنبياء. وعندما أظهر فرعون نفسه بمظهر الشخص الديمقراطي المتوجه نحو شعبه، واجهه بأسلوب ديمقراطي قائلا له: "أتقتلون رجلاً يقول ربي الله؟". أي ألا تحملون أي احترام لعقائد الناس وأفكارهم؟... وشيئا فشيئا يقوم بإعلان إيمانه، ويقول "يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا". أمام هذا الخطاب المقنع الموجه للشعب التجأ فرعون إلى الديماغوغية:

"قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد" متظاهراً بالحرص على مصلحة الشعب.

وبينما كان فرعون يقترب من الهزيمة النهائية بسرعة كان موسى عليه السلام مطمئناً غاية الاطمئنان، ولم يحرك تهديد فرعون له شعرة واحدة من رأسه. ولم يتأخر جوابه له: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (غافر:٢٧)، مبيناً ثقته بالله تعالى ومؤكداً من جهة أخرى أن الله تعالى وحده هو رب العالمين.

والخلاصة أنه بجانب منظر فرعون وهو يهدد ويتوعد بالموت، وفي أثناء هذا التهديد والوعيد لا يستطيع إخفاء قلقه واضطرابه، وتناقضه العقلي والمنطقي والقلبي، حتى إنه يحاول الحصول على تأييد شعبه الذي طالما أهانه واستحقره، وهو في هذه السبيل لا يتردد عن استغلال العاطفة الدينية لشعبه. بل يقوم بمحاولة إسناد الفساد إلى عدوه لتشويه سمعته ناسياً أنه كان هو مصدر الفساد والإفساد في الأرض. وبينما كان يقوم في كل مناسبة بعداء الدين، كان يتهم المتدينين بأنهم غيروا وسيغيرون روح الدين. ومن جانب آخر نرى موسى عليه السلام وهو في غاية الاطمئنان والثبات، وبدلاً من اللجوء إلى الشعب يلجأ إلى الله، ويقوم ويعمد إلى مصارحة فرعون بغروره وتكبره. وكان هذا فصلا من النزاع بين "حزب الله" وبين "حزب الشيطان" في ذلك العهد.

# سورة فصلت

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]

الاستقامة تعني اتباع الطريق المستقيم طوال الحياة واتباع الشيء الصحيح والحق طوال العمر. والقرآن الكريم يقول: "فاستقيموا" آمراً وموصياً إيانا بسلوك الطريق والصراط المستقيم. والآية أعلاه بشارة لمثل هؤلاء السالكين الصراط المستقيم. وأكثر الطرق والسبل استقامة هو الطريق الذي سلكه الرسول ﷺ الذي أمره ربه بالاستقامة ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (هود: ١١٢، الشعراء: ١٥). لكي تظهر الاستقامة الموجودة بالقوة في فطرته إلى استقامة بالفعل في الواقع. والاستقامة المطلوبة منه بهذا الأمر الإلهي هي الاستقامة المعتبرة عند المقام الإلهي. والحقيقة أنه من الصعب جدا فهم وتطبيق الاستقامة المطلوبة من قبل الله تعالى حق الفهم وحق التطبيق وبالمعنى المقصود من قبله تعالى. لذا جاء الأمر بصيغة مطلقة وتم تنبيهنا أن نكون مستقيمين عند رعاية أوامر الله ونواهيه قدر استطاعتنا. أجل!... هذا هو المطلوب منا. وهناك حديث للرسول ﷺ يشير إلى هذا حيث يقول: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم"[1] والملاحظ هنا هو

(١) البخاري، الاعتصام ٤؛ مسلم، الحج ٤١٢؛ الفضائل ١٣٠؛ النسائي، الحج ١.

الإشارة إلى الاستطاعة والقدرة على تجنب المعاصي، والقدرة والاستطاعة على فعل الخير والمعروف.

الاستقامة تكفل سعادة الدنيا والآخرة وهي أساس بشائر مهمة وردت في القرآن الكريم. ولأننا تناولنا هذا الموضوع بشكل أكثر تفصيلا في السابق[1] فإننا نكتفي هنا ببعض النكت الأخرى لهذا الموضوع:

**١-** الاستقامة بالنسبة لإنسان في بداية الطريق -أو لجماعة أو لأمة أو لدولة إن استطعت تناول الموضوع بالمقياس الكبير- زاد مهم. والذين يخرجون للطريق من غير زاد الاستقامة سيبقون في منتصفه ولن يصلوا إلى هدفهم أبداً. بينما المهم بالنسبة للمؤمن هو الوصول إلى الهدف الذي بينه الله تعالى. قد يكون هذا الهدف شخصياً أو عائلياً أو اجتماعياً...

أجل!... إن الاستقامة ركن لا يمكن الاستغناء عنه في النجاح، سواء النجاح في حياتنا الفردية أو في حياة امتنا. وحتى لو استطاع بعضنا إحراز بعض النجاح بالكذب والتمويه، وجر الجماهير وراءهم، فإن الحقائق ما أن تظهر واضحة وصريحة فإنهم يفقدون كل ما اكتسبوه في السابق شيئاً فشيئاً. كما يفقدون إمكانية وفرصة استعادة ما فقدوه من جديد. إن الاستقامة رصيد إن فقدته قام من عرف ذلك بسحب كل ما كان قد أكسبه لك حتى ذلك اليوم. ولكون توفر الاستقامة يؤدي إلى الكسب بهذه الدرجة، ويؤدي غيابها إلى هذه الدرجة من الخسارة، قال رسول الله ﷺ: "شَيَّبَتني هودٌ وأخَواتُها"[2]، وكيف لا وهذه السورة تشمل آية ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (هود:١١٢). إذن فحتى النبي لا يزول عنه قلق الوصول إلى الاستقامة التامة. وعندما يسأل أحد الصحابة النبي ﷺ أن يوصيه يقول له النبي ﷺ: "قُل آمنتُ بالله ثم استقم".[3]

---

(١) ورد هذا في كتاب آخر للمؤلف تحت عنوان "التلال الزمردية" ١/١١٦.

(٢) الترمذي، تفسير السور (٥٦) ٦.

(٣) مسلم، الأيمان ٦٢؛ المسند للإمام أحمد، ٤١٣/٣، ٣٨٥/٤.

إن بقيت في إطار الاستقامة فلا يضرك التهم التي سيطلقها الأعداء أو الحساد عنك، لأنه سيأتي اليوم الذي تظهر فيه براءتك، وتكسب حينذاك أضعاف ما خسرته في الماضي. المهم أن تبقى على خط الاستقامة على الرغم من كل شيء.

**٢-** إن لم يكن الشخص مستقيماً فهو يعيش حياته قلقاً، لأنه يخشى في كل آن أن ينكشف غسيله القذر. فإذا كان هناك من شـــاركه في آثامه وأخطائه أصبح هذا القلق والخوف ملازماً له في حله وترحاله وفي منامه ويقظته لا يدري متى سيطعن من خلفه. يتلوى من هذا الخوف لأنه حسب المثل القائل: "إذا اختلف السراق ظهر المسروق". وهـــو يضطر لمداهنة ومداراة هؤلاء ويبقى في خوف وفي قلق دائمين.

**٣-** والآن لنعرض رأياً للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي حول بُعد آخر للاستقامة:

عندما يستعرض النورسي أسباب تخلفنا يقول: "أحياناً يحاولون الوصول إلى هدف وإلى غاية صحيحة عن طريق استعمال أساليب ووسائل خاطئة. بينما يجب الوصول إلى الأهداف الصحيحة عن طريق الأساليب والوسائل الصحيحة". بتعبير آخر: "لا يمكن الوصول إلى هدف صحيح وصالح وحق عن طريق وسائل باطلة". مثلاً: لا يمكن الوصول إلى رضا الله تعالى أو تحقيق منفعة للمسلمين بالألاعيب السياسية. والشيء نفسه وارد بالنسبة لاستغلال عاطفة الجماهير لتحقيق أمر ما، فهذه وسيلة باطلة، والإنسان بهذا يخدع نفسه. كما لا يمكن الوصول إلى الحقيقة عن طريق معالجات مصطنعة. إذ لا نجد هذا لا في حياة الرسول ﷺ ولا في تاريخ الإسلام وأدواره عندما كان الإسلام حياً. إذن يجب اتباع طريق واستعمال طريقة يكون الصدق والاستقامة أساساً لها على الدوام، وإلا ذهبت جميع الجهود المبذولة -غير المستندة إلى الاستقامة- أدراج الرياح، وســـيحاسب الله على هذه الخيبة

والفشل. لأنه مع كون النيات صالحة، إلا أن الجماهير وجهت نحو طرق خاطئة، قد تشوه صورة الدين الإسلامي، وأُعْطِيَ بيد أعداء الدين السلاح والتبرير لكي يزيدوا من شراستهم.

بينما مثل هذه المسائل المتعلقة بالمجتمع تتطلب المشورة، وتبادلا للأفكار على صعيد واسع. فإن لم تقم بالمشورة ولم تتبادل الأفكار مع الآخرين، فهذا يعني أنك قمت بجر الجماهير إلى مغامرات غير محسوبة العواقب بأهوائك. والله تعالى سيحاسب على هذا بالتأكيد. ومع الأسف فإن اقتراف مثل هذه الأخطاء هو ما يجري في أنحاء العالم الإسلامي الآن، ونرى الأمثلة البارزة على هذا في بعض البلدان الإسلامية.

والخلاصة إن الاهتمام بالاستقامة في الشعور وفي الفكر وفي العمل يشكل الناحية العملية للإيمان. وقد اهتم السلف الصالح والذين خوطبوا بالقرآن للمرة الأولى بجانب من جوانب الاستقامة، فمنهم من فسر آية ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصلت: ٣٠؛ الأحقاف: ١٣) بأنها تعني الذين وحّدوا الله تعالى ولم يدخلوا في الإثم؛ وفسرها آخرون بأنها الذين استقاموا في سلوكهم ولم ينحرفوا إلى الحيلة والخديعة؛ وفسرها آخرون بأنهم هم الذين وصلوا إلى العبودية المخلصة لله تعالى؛ وقال آخرون بأنها تشير إلى المؤدين لكامل الفرائض، والتكامل ظاهرياً وباطنياً. ومثل هؤلاء تحفهم الملائكة وتنزل عليهم بالسكينة والاطمئنان. أجل!... فكما تقوم الأرواح الشريرة والخبيثة والشياطين بزيارة من ملئت أرواحهم بالنوازع والمشاعر الشيطانية، كذلك تقوم الأرواح الطيبة بزيارة أصحاب الاستقامة وتسوق لهم البشائر: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠).

ويرى بعضهم أن تنزل الملائكة وبشارتهم هذه يكون عند الاحتضار والموت، ويرى آخرون بأنه يكون بعد البعث من الموت وما يصاحبه ويعقبه

من زحام الحوادث. وقال البعض الآخر بأنه سيتحقق في أثناء الموت وفي أثناء البعث بعد الموت أيضاً. ومن يدري فربما تقوم الملائكة -بجانب أدوار الموت والبعث- بالتنـــزل على المؤمنين في جميع صفحات حياتهم، وأن هذا هو السبب في كون هؤلاء المؤمنين يعيشون حياة اطمئنان وسكينة. ولكن مثل هذه المشاعر والأفكار التي هي نتيجة لبذرة الإيمان الموجودة في قلوبهم طوال حياتهم، ستتوضح وتلتمع وتتعمق أكثر في أثناء الوفاة، وتنكشف أكثر عند المحشر، وتصل إلى أبعادها الأخروية الحقيقية بمعونة القدرة والرحمة الإلهية.

الله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

[فصلت: ٥٣]

تذكر هذه الآية أولا بأن الآيات الدالة على صدق هذا القرآن وكونه حقاً لا مراء فيه ستظهر الواحدة بعد الأخرى في الآفاق وفي الأنفس، وأن التناغم الموجود بين الآفاق والأنفس يشير إلى الله تعالى ويعلن عنه، وتبشر المؤمنين الذين كانوا آنذاك في ضيق شديد بأن قلوب أهل مكة ومن في خارجها ستنفتح، وسينتشر نور الإسلام في الشرق وفي الغرب، وأن الروح المحمدي سيفرش جناحيه على العالم، وتومئ إلى أن الجو خارج مكة سيكون أفضل وأكثر ملائمة لهم.

إن أسلوب هذه الآية يفتح أمامنا أفق تفكير واسع جدا، ويهيئ لنا إمكانية رصد الحقائق. وكما هو معلوم فإن الأدلة المقدمة لإثبات الحقيقة تنقسم إلى مجموعتين: الأدلة الآفاقية المستقاة من الكون وما يتعلق به من حوادث، أي الأدلة من خارج النفس. ثم الأدلة المتعلقة بالعالم الداخلي للإنسان من فكر وحس وحدس، والتقييم الشخصي لها.

# سورة الشورى

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشورى: ٢٩]

تذكر هذه الآية من السابق كدليل على احتمال وجود أشكال من الحياة -في عوالم أخرى غير عالمنا- مشابهة للموجودة في أرضنا أو مختلفة عنه، وهذا صحيح. كما أن عبارة ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِير﴾ (الشورى:٢٩) قد يفهم منها أنه من الممكن أننا سنستطيع الذهاب إليهم أو يقومون هم بالمجيء إلينا.

فالدبيب يعني الحركة، والدابة تعني المتحرك. ومع أنه يمكن استعمال هذا التعبير بالنسبة للجن والروح والملائكة، إلا أن العرف في الشرع حتى الآن هو في استعماله للكائنات المادية الموجودة على الأرض. لذا يمكن القول بأنه من المحتمل أن الله تعالى خلق في السماوات مخلوقات مثل الإنسان وغيره من الأحياء الأخرى، وأنه يستطيع إن شاء أن يجمعهم معا. وكما سيجمع كل الناس وكل شيء ويحشرهم في العالم الآخر، كذلك يستطيع جمع المخلوقات الموجودة في أركان الكون معا.

ومع أن بعض المفسرين ذكروا أن الطيور هي المقصودة من تعبير الدابة الموجودة في السماء، ولكن هذا تفسير بارد ولا يستطيع حدس الجانب الإعجازي هنا. والأفضل والأنسب قبول وجود مخلوقات في نظم بعيدة وقريبة مشابهة للمخلوقات الموجودة على الأرض مثلما قال وذهب إليه الإمام مجاهد.

ونحن ندع هذا الموضوع للعلماء والباحثين المؤمنين في المستقبل نرى عدم استبعاد وجود عوالم أخرى في أرجاء الكون مشابهة لعالمنا ووجود مخلوقات وكائنات فيها.

والله أعلم بالصواب.

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠]

لا يخالف المنطق الشرعي أن نقول بأن كل مصيبة تصيبنا هي عقاب على إثم اجترحناه. ولكن لو عوقبنا على كل ذنب اقترفناه لتزاحمت المصائب على رؤوسنا ولما وجدنا فرصة للراحة. أي لو عوقبنا بالأفعال التي تكون خارجة عن رضاه في كلامنا ومجالسنا وتجولنا لما سنحت لنا فرصة للهدوء. وهذا يعني أن الله تعالى الذي سبقت رحمته عذابه يعفو عن الكثير من ذنوبنا، ومن يدري كم من المرات يعفو عنا في اليوم الواحد، وهذا هو ما تسجله الآية الكريمة ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى:٣٠).

والحقيقة إن معرفة الإنسان بأن المصائب التي تصيبه هي نتيجة أعماله وما اقترفته يداه هي من أمر القرآن. وأي تفكير مخالف لهذا يسوق الإنسان إلى التفتيش عن متهم ومذنب خارجي. ومثل هذا الإنسان لن يجد مثل هذا المذنب، ولا يتخلص عن إثم سوء الظن.

أجل!... يعطينا القرآن مقياسا في البحث عن المذنب: المذنب ليس شخصا آخر، بل هو أنفسنا. لنقل مثلا إننا تعثرنا -نتيجة سهو وعدم انتباه- بقدح وكسرناه وانسكب الشاي الموجود فيه وأحرق قدمنا. في مثل هذه الحالة لا يفيدنا الغضب والبحث عن مذنب والصراخ: "من وضع هذا القدح هنا؟". بل علينا أن نرجع إلى أنفسنا ونقول: "يا رب!... لا وجود للمصادفة في حوادث الكون. يجوز أن يكون هذا عقابا لي على ما اقترفته... فاغفر لي ذنوبي". ولا نقوم بتوبيخ الآخرين. فإن قمنا بالتفتيش عن مذنبين آخرين كنا قد تصرفنا ضد الآية الكريمة ﴿وَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ (النجم:

٣٢). كما يتضمن أيضا سوء الظن بالآخرين أي مخالفة للآية الكريمة ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ﴾ (الحجرات: ١٢).

أجل!... إن اتهام الشخص لنفسه عند وقوع المصيبة يسوق الإنسان إلى مراقبة النفس. ألم يكن رسول الله ﷺ يفزع إلى الصلاة وإلى الدعاء والتوجه إلى الله والاستغفار منه عند كل ملمة تلم به؟.

وكلمة "أيديكم" الواردة في الآية الكريمة لا تعني الذنوب التي تقترفونها بأيديكم فقط، بل تعني كل الذنوب التي تشارك فيها أيديكم وأرجلكم وسمعكم وأبصاركم... الخ. أي جميع الأعمال التي يشارك في أدائها جميع أعضائكم. لذا يمكن النظر إلى جميع الذنوب -بدءً من الغيبة ووصولاً إلى الزنا- من هذا المنظار.

أحياناً يوجد هناك تناسب بين كيفية مجيء المصائب وثقلها وبين الأخطاء والذنوب المرتكبة، وأحياناً لا يوجد. غير أن كل مصيبة تعد بالنسبة للمؤمن حوض تصفية وتطهير، يذهب إليه المؤمن ويتطهر من ذنوبه، فيحافظ على النقاء الموجود في سريرته ويصونه.

في حديث شريف يرويه ابن أبي حاتم يقول رسولنا الطاهر المطهر ﷺ: "لا يصيب ابن آدم خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو عنه أكثر".[1] وسواء أغفر الله تعالى تلك الذنوب مباشرة، أو تحويلها إلى مصائب وتطهير الإنسان بها فإن الإنسان لن يبقى متلطخا بالذنوب. فكما قال علي ﷺ فإن الله تعالى أعدل من أن يحاسب عبداً يوم القيامة عن ذنب سبق وأن غفره له، ولا أن يعاقبه يوم القيامة على ذنب سبق وأن عاقبه بسببه في الدنيا.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تفسير الآية أعلاه؛ كنـــز العُمّال لعليّ المتقي، ٣/٣٤١، ٧٠٧.

# سورة الفتح

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]

إذا أردنا إجراء مقارنة مرتبطة بهذه الآية بين اليهودية والمسيحية والإسلام نقول:

أرسل النبي عيسى عليه السلام إلى مجتمع مادي إلى درجة كبيرة. ولإصلاح مثل هذا المجتمع المادي خرج النبي عيسى عليه السلام بدين روحاني فاصلح أفكارهم وميولهم المادية.

أما المجتمعات التي أقامت الدين على أساس من الوثنية فمن الصعب جدا التخلص من إيحاءات هذا الدين الوثني والوصول إلى فكر ديني جديد. وقد قام السيد المسيح عليه السلام بتعديل الغلواء المادي للمجتمع الذي بعث إليه وفتح أمامه بابا للروحانية. وفي الوقت نفسه أسس توازنا بالوحي السماوي بين الروح والمادة دون إفراط أو تفريط بأحدهما على حساب الآخر. ولكن

الذين جاءوا من بعده من منتسبي هذا الدين لم يستطيعوا الحفاظ على هذا التوازن. لأنهم اتجهوا بمرور الزمن نحو الروحانية إلى درجة إنكار المادة. والقرآن الكريم يذكر أنهم ابتدعوا رهبانية لم يراعوها حق رعايتها[1] وكانوا يظنون أنهم وصلوا إلى قيم سامية فوق جميع القيم الأخرى، بينما لم يكتب الله عليهم هذه الرهبانية. من أجل مرضاة الله ابتدعوا شيئا لم يكن في روح الدين، ثم غُلبوا على أمرهم تحت ثقل ما ابتدعوه، وابتعدوا عن أصل الدين. بينما كانت الطيبات واللذائذ في الإطار المشروع مباحة وكافية من جهة وضرورية من جهة أخرى. فالحياة العائلية والأولاد من ضروريات الحياة وحاجاتها للإنسان. وعندما استنكف البعض منهم من هذه الضروريات الحياتية لوثوا حياتهم بالأشكال غير المشروعة من هذه الحاجات.

نجد في النصرانية أشكالاً أخرى كثيرة أمثال هذا التغيير والتبديل، فنجد في إنجيل يوحنا "من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر". وقد يمكن تقييم هذا المعنى وهذا الروح اليوم بالنظر إليه وكأنه شكل آخر من التعبير الآتي الدارج "كن تجاه من يضربك بلا يد وتجاه من يشتمك بلا لسان". غير أن الخطأ البارز هنا أنه يقود الناس إلى التسليم بالظلم وقبوله وهذا شيء خاطئ. لأن الظالم لا يشبع أبدا من الظلم. وقد تعرضت المسيحية في بداية ظهورها إلى أنواع مختلفة من القهر ومن الضغوط، ولم تجد أمامها فرصة سانحة للتعبير عن نفسها. فأمام هذا الظلم تم تلقينهم بعدم مقابلة الاعتداء بالمثل. ثم أصبح هذا سمة خاصة وطبعاً خاصاً بهم فيما بعد. وتبنوا مبدأ عدم الحرب وعدم مجابهة الاعتداء أو الكفاح ضده والعيش في حياة رهبانية. ولكن عندما نتفحص مدى انعكاس هذا الأمر في الحياة الواقعية والعملية نرى منظرا قاتما لا ينسجم مع هذا المبدأ. لأننا نراهم يقومون في مختلف أرجاء العالم بسلوك مخالف تماما لهذا المبدأ مع الأسف ويشبعون الحاجات

(١) انظر: الحديد ٢٧.

الفطرية الموجودة لدى الإنسان بطرق غير شرعية، وبالتسبب في حروب لا تزال آثارها تمتد إلى يومنا هذا، وفي القضاء على أنفس بريئة ظلماً ودون وجه حق.

إن الحركة الإصلاحية التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام، فتحت الطرق المؤدية إلى مفخرة الإنسانية وخاتم الأنبياء ﷺ الذي كان قد بشر به أيضاً. ولكن الذين جاءوا من بعده قاموا كرد فعل للإفراط اليهودي المادي بالتفريط وأنكروا المادة. والآية الطويلة في آخر سورة الفتح تشير إلى هذا الموضوع وتنيره. ونحب إيضاح بعض الأمور فيما يتعلق بهذه الآية:

تبدأ الآية بـ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ﴾، أي بدأت بالتأكيد على نبوة ورسالة رسولنا ﷺ. ولأنه تم بيان هذه الحقيقة في أماكن مختلفة من القرآن، فقد ذكرت هنا بشكل مجمل. أما هذه الآية فقد قامت بتسليط الأضواء على الناس الموجودين حواليه من صحابته بمختلف أوصافهم وصفاتهم، وبجوانبهم المختلفة.

حقيقة ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ﴾ حقيقة مهمة وحيوية جدا وقد قال الشاعر سعد الشيرازي وكذلك الأستاذ النورسي عنها في كتابه "المكتوبات": "من المحال وجود أمان أو طريق آمن دون ذكر "محمد رسول الله". وقال المفكر والأديب التركي المعروف "نجيب فاضل" عند بيان هذه الحقيقة بأن الفيلسوف باسكال جرى خلف الحقيقة وأوشك أن يدركها، ولكنه لكونه لم يقل "محمد رسول الله" لم يلحق سفينة النجاة وفاتته مع أنه كان قد بلغ حافة الميناء. أجل!... فمن لم يصل إلى رسولنا ﷺ فمن الصعب عليه بلوغ ساحل السلامة.

والآن لنرجع إلى جهة علاقة الآية مع موضوعنا: كل من بلغ معية النبوة مع النبي بلغ المعية الإلهية. فمن هذه الجهة يجوز أن تكون المعية مع رسولنا ﷺ في العالم المادي وعالم الخلق كمسقط هندسي للمعية الإلهية في عالم

الأمر. وعندما نقول المعية النبوية نقصد ما جاء في آية ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾. أما تكملة الآية فتتحدث عن مزايا وصفات هؤلاء الذين استطاعوا الوصول إلى هذا الأفق.

إحدى هذه المزايا أنهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾. أي أنهم أشداء على الذين قاموا بإخماد قابلية الإيمان في نفوسهم، وكذبوا بكل آيات الله المبثوثة في العالم أمام الأنظار، وانحرفوا إلى الإلحاد والإنكار وحاولوا إطفاء نور الله بأفواههم.

المزية الثانية أنهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ لأنهم ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً﴾، أي أصبحوا في أكثر الأوضاع قربا من الله. وهم في الوقت نفسه يعلمون أن كل شيء هو من فضل الله تعالى. وغايتهم في نهاية المطاف هي إحراز رضوان الله تعالى والحصول عليه، لذا نرى أن ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

﴿ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّوْرَاةِ﴾ والتوراة هي الكتاب المنزل على موسى عليه السلام ولكن حرف من بعده، فأخذت الأهواء فيها مكان أوامر الله تعالى، وأخذت المادية مكان الروح. وعندما تتناول التوراة وصف الأمة المحمدية تتناولها من الناحية المعنوية والروحية. ومن جهة أخرى ﴿وَمَثَلُهُم فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ والزرع شيء مادي يظهر من البذور. والبذرة جسم مادي محمل ببرنامج الحياة مثلها في ذلك مثل البيضة التي تحمل عقدة الحياة أو مثل الحيوان المنوي في الإنسان. ﴿أَخْرَجَ شَطْئَهُ﴾، والشطء أي ورق الزرع أو فراخ النخل شيء مادي أيضا. وفي كلمة "الشطء" تكمن موسيقى كأنها تصور ظهور الزرع. وكل كلمة في هذه الآية مختارة بصورة دقيقة وكاملة، ومشغولة مثل تطريز الدانتيلا.

﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي نما وكبر، وهنا أيضاً نجد التشبيه مادياً، لأنه ليس من الممكن استغلاظ الروح أو الناحية المعنوية.

﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ أي قام على ساقه واستوى. وسوق الإنسان هو ساقه، أما في النبات فهو جذعه.

﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي يفرح به الزارع الذي بذر البذور في الأرض.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ولا تكون هـذه الإغاظة إلا بعد ملء عيـون الآخرين بما يدهشهم ويخيفهم. وكل هذه الأمور متعلقة بالمادة.

إذا تأملنا الآية نرى أن التشبيهات الواردة في الإنجيل تعكس فهما مادياً صرفاً، وتجلب الأنظار إلى الجوانب المحسوسة من الأشياء. أما الحقائق المذكورة في التوراة فلا يوجد في أي واحدة منها ما يمكن لمسه أو رؤيته، أو أي شيء متعلق بالمحسوسات، بل كلها حقائق مجردة كأنها متعلقة بعالم الأمر ومن المفاهيم المعنوية. وهذا الأمر الدقيق مهم جـدا من ناحية فهم وضع سيدنا المسيح عليه السلام. فقد كلف السـيد المسيح عليه السلام بمهمة تعديل مادية اليهود. والإنسان الـذي يأتي بمثل هذه المهمة والوظيفة يجب تجهيزه بما يساعده على هذه المهمة. لقد نشأ أول ما جاء إلى الدنيا في أسـرة جيدة. وتولت مريم عليها السلام التي لا يمكن ذكر امرأة أخرى يمكن أن تدانيها من ناحية التربية. ويذكر القرآن في آيـات مختلفة -بانتقاء ممتاز للكلمات- صفاتها ومزاياها. فهذه المرأة العظيمة كانت مهتمة بعفتها إلى درجة أنها وجلت جدا حتى أمام الملك الذي بدا لها.

كانت أم مريم قد نذرت ما في بطنها لله، أي ليكون خادما في المعبد. ولكن عندما ولدت أنثى حزنت وتأثرت ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾. ولكن بما أن النذر كان لجعل المولود خادماً في المعبد فقد تركت مريم في المعبد على الرغم من كل شيء. ونشأت مريم في الجو الروحي للمعبد، ثم حملت باليد المسيح عليه السلام -الذي جاء بمهمة متميزة- بشكل خارق وغير اعتيادي.

والخلاصة أن السيد المسيح عليه السلام ولد من أم كانت حياتها مملوءة بالأشياء الخارقة وغير الاعتيادية، ونشأ في عناية الله وصيانته كإنسان اسـتعلى فيه

الجانب الروحي. لأنه أرســـل إلى مجتمع وإلى قوم طغى فيهم الجانب المادي منذ سنوات طويلة، حتى أصبحت المادية عندهم كالدين يصعب جداً هدمه وإزالته أو تغييره وتجديده. مما دفعه إلى النضال مع مثل هذا المجتمع طوال حياته. وعندما أرسل السيد المسيح بهذه المهمة كنبي كان من الضروري أن يكون مجهزا بما يشبع حاجات ومتطلبات مثل هؤلاء الناس، وناضل ضد المفهوم الذي ألّه المادة، وساعده على هذا أنه جاء من غير أب وقام بمعجزات عديدة بإذن الله كإحياء الموتى وإبراء الأمراض المستعصية، وغيرها من المعجزات. وهكذا اســـتطاع تعديل الفكر المادي، وفتح الطريق أمام التفكير المعنوي والروحي، وبذلك مهد الطريق لخاتم الأنبياء والرسل ومفخرة الإنسانية ﷺ.

ولا شك أن النبي العظيم وصاحب مقام الجمع ﷺ الذي جاء بعد هذين النبيين قام بتعديل بعض الأمور المتعلقة بأمتيهما وزمانيهما حسب ما يقتضيه تغير الظروف والزمان، وأن يستخلص من شرعهما -اللذين يبدوان مختلفين عن بعضهما ولكنهما في الأصل أجـــزاء من كل واحد- مشربا ومذاقا جديدين، وصراطاً مستقيماً، ولكن هذه الأشياء المستخلصة هي في الحقيقة لمعات من مزاج هذين النبيين الكريمين وأمزجة الأنبياء الآخرين التي تم التعبير عنها في كتبهم.

الله أعلم بالصواب.

# سورة النجم

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٨]

كما هو معلوم فهذه الآية تصف ما جرى عند معراج رسولنا ﷺ. وعلاوة على هذه الجهة من الآية، فهي تفتح الباب على حقائق أخرى خارج هذا الموضوع الخاص.

إن قيام الرسول ﷺ بمشاهدة الأدلة الآفاقية والأنفسية حول وجود الله تعالى بعينيه، وقيامه بتقييم هذه المشاهدة العينية بمشاهدة داخلية عميقة وبحدس يحيط بأبعادها الحقيقية نتيجة لطف من ألطاف الله. أجل!... فمشاهدة هذا الإنسان العظيم يجب أن تكون مشاهدة كلية لأنه يملك نظراً كلياً. وبهذا الاعتبار يستطيع مشاهدة التجليات الإلهية دون مانع ولا حائل ولا ستار ولا عائق. والكلام الذي يقوله ويتفوه به مثل هذا الإنسان المالك لهذا الأفق الواسع الرحب لا يمكن لأي إنسان عادي أن يعارضه أو ينتقده. فلا شك أن نظر من يقف على الأرض ويتأمل السماء، ليس مثل نظر الجالس في بيته ولا يستطيع مشاهدة أبعد من أنفه.

وسواء أنظرنا إلى "الآية" و "الكبرى" هنا على أساس أنهما صفة وموصوف، أم عددنا "من" هنا زائدة وعند ذلك يكون المعنى أنه شاهد آيات ربه الكبرى. إذن فهذا الرسول الجليل القدر في رحلته وراء الزمان والمكان رأى من معجزات ربه، ومن آياته الباهرة، ومن العجائب الموجودة وراء الأستار ما يجل عن الوصف، وتقابل مع العلامات العظمى وجها لوجه، وتسنت له مشاهدة آفاق لم يتسن لأحد مشاهدتها، وما كان بقدرة

أي كلام أو بيان وصف التجليات الإلهية التي شاهدها وهو يتجول في المقامات والمراتب العليا. لقد أحس وحده في الآفاق التي تجول فيها بالأنوار والأسـرار، وهو الذي سمعها فقط. ولم يكن باستطاعة أحد غيره، ولا بمقدوره تحمل هذه المشاهدة الكلية الواسعة المتمثلة في الآية الكبرى. ولم تكن الآية الكبرى هو الله الأحد الصمد. أي أن ما رآه لم يكن ذات الله تعالى، بل آيته الكبرى. فالوجود كله من بدئه إلى منتهاه ليس إلا آيات دالات على الحق تعالى وإشارات إليه وتعبير عنه. وحسب آية ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الأنعام: ١٠٣) فلا يمكن الإحاطة بالله أو إدراكه فهو أمر ستحيل ولا يمكن الحديث عنه. ولكن رؤيته ممكنة. ولكن الآية تصرح بأن المُشاهَد لم يكن هو بل آيته الكبرى الميسرة لرسولنا ﷺ.

واستناداً إلى حقيقة كون الرسول ﷺ حبر كتاب الكون ونواة شجرة الخلق، ونور نوع الإنسان نستطيع أن نقول إن هذه الرؤية والمشاهدة كانت قراءة لكتاب حقيقته ومشاهدة لشجرة وغصن وأوراق وثمرة ماهيته المنكشفة؛ وإن مثل هذه السـياحة تمت في موضع فوق الزمان والمكان، موضع يسمع فيه صرير قلم القدر الذي قام بتصميم وتخطيط الوجود الأول، في ظل العرش وفي أفق الرضوان والفضل.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

# سورة الرحمن

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمن: ١٧]

تبدو هذه الآية في الوهلة الأولى وكأنها تشير إلى حدود المشرقين والمغربين.

فمثلاً يختلف المشرق والمغرب في فصل الصيف عن المشرق والمغرب في فصل الشتاء. فالشمس في الصيف تغرب في أقصى المغرب وتشرق من أقصى المشرق. وفي فصل الشتاء تشرق الشمس من أدنى المشرق وتغرب في أدنى المغرب. إذن فالشمس تشرق كل يوم من مشارق مختلفة وتغرب في مغارب مختلفة. وهذا يعني وجود مشارق ومغارب مختلفة بين أقصى المشرقين وبين أقصى المغربين. لذا قيل هنا ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن: ١٧).

لذا فانطلاقاً من هذه الملاحظة نقول إنه مع وجود مشرق ومغرب مختلف كل يوم، فقد تم تناول مشرقين ومغربين يمثلان الحدود القصوى للشروق والغروب وترجع المشارق والمغارب النسبية بين هذين الحدين كل إلى القطب القريب منه. هذا علما بأن القرآن الكريم عندما تناول جميع الأبعاد بنظر الاعتبار ذكر المشارق والمغارب بصيغة الجمع فقال: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ (المعارج: ٤٠).

فذكر بجانب بُعد المشرق -الذي هو المبدأ والأصل- بُعد المغرب الذي يعد تابعاً واستمراراً له.

إضافة إلى الشمس والقمر قد تكون جميع الأجرام السماوية التي تشرق

وتغرب بالنسبة لكرتنا الأرضية مقصودة أيضاً بهذه الآية. وقد يكون هذا الأسلوب المستعمل هو للإشـــارة إلى اختلاف مطالع الشروق واختلاف مطالع الغروب الناتجة من دوران الأرض حول محورها.

وقد ينتج عن دوران الأرض حول الشمس، ودوران الشمس حول محور معين ضمن مجرة درب التبانة وهي منطلقة في طريقها مشرقين ومغربين، فيكون هذان الجرمان السماويان -أي الأرض والشمس- إشارتين إلهيتين مباشرتين -أما غيرهما فإشارات غير مباشرة- حول القدرة الإلهية من جهة وتذكيرا بنعم الله تعالى من جهة أخرى.

قلنا إن الشروق والغروب يشير إلى القدرة والنعم الإلهية... أما القدرة فلكونها ضماناً للجنة وللخلود، وأما النعمة فبسبب الاستجابة إلى مطالبنا الروحية والجسدية مما يستدعي الشكر وعدم الوقوع في الجحود ونكران الجميل. نتذكر هذا ونتساءل على الدوام ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: ١٣)... نقول هذا ونستغرق في الشكر والحمد.

الله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.